الظَّواهِرُ اللُّغَوِيَّةُ في قراءةِ الإمامِ الزُّهْرِي 50ـ124هـ

د. عبد الفتاح محمد عبوش
أستاذ مساعد ـ كلية التربية بالتربة ـ جامعة تعز

ملخص :

هذا بحث أردنا منه أن نقف على أهم المظاهر اللهجية لقراءة عالم من علماء القراءات، والحديث من التابعين الذين رويت عنهم اختيارات في حروف القرآن حفظتها لنا كتب الرواية والدراية، وكانت هذه الاختيارات تعكس أهم تلك المظاهر للبيئة اللغوية التي كان ينتمي إليها هذا العالم الجليل

فقد حوت قراءته أهم الظواهر اللغوية للبيئة الحجازية التي كان ينتمي إليها من تسهيل للهمز ، مع قلة في الإمالة ، ومن تخفيف في الحركات، ومطل لها ، وغير ذلك ، مما يعكس تأثير بيئته اللغوية في اختياراته

التعريف بالزهري :

هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب، أبو بكر الزهري المدني أحد الأئمة الكبار، وعالم الحجاز والأمصار، تابعي وردت عنه الرواية في حروف القرآن، ولد سنة خمسين للهجرة .

روى عن الصحابي الجليل عبد الله بن عمر ، وعن أنس بن مالك ، وسهل بن سعدون ، والسائب بن يزيد ، وأبي الطفيل ، ومحمود بن الربيع ، ومحمود بن لبيد .[1]

وروى عنه الحروف عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي ، ومالك بن أنس ، والأوزاعي ، وعقيل بن خالد ، وإبراهيم بن أبي عبلة

وعرض عليه القرآن نافع بن أبي نُعيم ، قارئُ المدينة ، وأحدُ القراء السبعة المعروفين.[2]

كان محدثاً ، عالماً ، ثقةً ، ورعاً ، ذكيًّا ، حافظاً لما يقع عليه بصرُه ، أو يرنو إليه سمعُه، فقد نقل عنه الليث أنه كان يقول ما استودعتُ قلبي شيئاً قطُّ فنسيتُه.[3]

ونحن إذ نعمل على إماطة اللثام عن هذه الشخصية الفذة ، يجدر بنا أن نسلط الضوء ـ ولو بإيجاز ـ على كيفية ظهور القراءات القرآنية ، ومن ثم ننتقل إلى رصد الظواهر اللغوية التي ضمنها قراءتَه

فمن المعروف أن القرآن الكريم كان قد أُنزل على سبعة أحرف ، وذلك تسهيلاً لمن لم يستطع أن يقرأه على حرف ، أن يقرأه على حرف آخر يستطيعه ، مما طُبِعَ به لسانُه، واستقر في سليقته اللغوية

وبعد أن كتب سيدُنا عثمان (رضي اللّه عنه) المصاحف ، ووزعها على الأمصار، أرسل مع كل مصحف قارئاً ؛ ليعلِّمَ الناسَ مما هو موجود بين دفتي المصحف الذي معه ، وطلب منهم أن يتركوا من قراءاتهم ـ التي كانوا قد أخذوها من الصحابة الذين نزلوا بين ظَهرانيهم قبل وصول مصحفِ عثمان ـ ما يخالف رسم هذا المصحف الإمام ، ويلتزموا به، وقد استجاب الناس في هذه الأمصار لطلب عثمان هذا

ومن هنا يمكن أن نقول إن الرواة قد عدُّوا أن ما خرج عن هجاء الكلمات ـ في هذه المصاحف ـ شاذاً.[4]

وقد كان أئمة القراءات يتناقلون القراءات الصحيحة ، المتواترة جيلاً بعد جيل، ولم يكونوا ليخصصوا أئمة بأعيانهم يأخذون عنهم القرآن وحدهم

ومن المعروف أن هؤلاء الأئمة كانوا يختارون من مرويَّاتهم عن شيوخهم قراءة يقرؤونها، ويداومون عليها ، وتُعرف لهم ، ومن ثم حَمَلَها عنهم تلاميذُهم ،

مما جعل هؤلاء الأئمة يتكاثرون في اختياراتهم ، حتى أنَّا لنجد أبا عبيد القاسم بن سلام (224هـ) يصنف كتاباً في القراءات يجمع فيه قراءات خمسةٍ وعشرين إماماً ، من بينهم السبعةُ الذين اختارهم - فيما بعد - ابنُ مجاهد في كتابه (السبعة في القراءات).[5]

وقد تتابعت مؤلفات الأئمة في قراءة كل إمام ، محاولين أَنْ يضبطوا قراءة كل واحد منهم ، وأن يميِّزوها بجميع خصائصها ، من حيث الإدغامُ ، والإمالة ، وتحقيق الهمزة ، أو تسهيلها ، أو الإشمام ، وغير ذلك

ولكن هذه المؤلفات لم تستطع أن توقف سيل تعدد الطرق والروايات للتلاميذ الذين أخذوا عن أئمتهم ؛ فتعددت القراءات ، والاختيارات ، وكثر فيها الاختلاف ، واتسع الخرق، مما دفع بابن مجاهد البغدادي (324هـ) أن يختار من هذه القراءات والاختيارات سبعة أئمة مشهورين بالثقة والأمانة ، والضبط ، ودوام الإقراء، واستفاضت قراءاتهم، وتواترت، ثم ضمنها في كتابه(السبعة).[6]

وشاءت الأقدار أنْ تُصنف قراءة هذا العالم الجليل ضمن القراءات الشاذة ؛ وذلك لكثرة ورود المفردات الشاذة فيها ، والمقصود بالمفردات الشاذة هنا هي المفردات التي شذّت في الرواية ، وليست شاذة في المخالفة رسم المصحف الإمام، كما أنه لم يتأتَّ شذوذُها من كونها تخالف العربية

وقد أحصيت له مئة وثمان قراءات، منها ثمانون قراءةً شاذةً ، ونحن قد اعتمدنا - في رصد هذه الاختيارات - على معجم القراءات القرآنية [7] ، الذي سوف يكون المعين الذي نقف من خلاله على قراءات هذا العالم الجليل

أولاً : الظواهر الصوتية :

من الثابت أن القرآن الكريم لم ينزل كلُّه بلغة قريش ، بل فيه كثيرٌ من لغات العرب ؛ لأنه أُنزل عليهم كافة ، وأُبيح لهم أن يقرؤوه بلغاتهم المختلفة ، والمتباينة ، فاختلفت القراءاتُ القرآنية فيه لذلك.[8]

فالقرآن كما فيه من لهجة قريش، فيه أيضاً من لهجة غيرها من القبائل العربية، وكانت هذه القبائل تتباين فيما بينها في ظواهرها الصوتية، فنرى ـ مثلا ـ أن القبائل الحجازية تسهل الهمزة ولا تحققها، بينما اشتُهر عن قبائل نجد ، والبادية ، مثل تميم ، وقيس ، وأسد أنها كانت تحقق الهمز، وقُل مثل ذلك في الإمالة ، فقد أُثر عن القبائل النجدية أنَّها كانت تنحو إلى الإمالة في كلامها ، بينما تنحو القبائل الحجازية إلى الفتح

وعلى ما يبدو ، فقد كانت تتداخل هذه الظواهر الصوتية فيما بين هذه القبائل النجدية من جهة ، والحجازية من جهة أخرى ؛ وذلك بسبب الاختلاط الذي كان يحدث بين هذه القبائل

وعالمنا الجليل ـ الزهري ـ كان قد نشأ في بيئة مدنية ، حجازية ـ كما أسلفنا ـ وهو قد قرأ على شيوخ حجازيين، فتأثر في اختياراته بالسمات اللهجية للقبائل الحجازية التي عاش فيها شيوخُه الذين تتلمذ على أيديهم، وهذا أمر ظاهر وجلي فيما سوف يلقانا من تلك الظواهر بإذن اللّه

1 ـ الفتح والإمالة :

الفتح لغة جاء في القاموس المحيط فَتَحَ ، كـ (مَنَحَ) ، ضد أغلق.[9]

الميل لغة هو الانحراف ، والعدول عن الشيء، ومالت الشمس ميولاً زالت عن كَبِدِ السماء.[10]

أما الإمالة اصطلاحاً فهي أن تُميلَ الألفَ نحو الياء، والفتحةَ نحو الكسرة.[11]

وإنما وقعت الإمالة في الكلام ؛ لتقريب الصوت من الصوت ولا شك أن تقريب الأصوات بعضها من بعض هو نوع من الانسجام الصوتي ، وفيه اقتصاد للجهد العضلي يميل إليه الإنسان من غير تعمد

والإمالة ليست مختصة بالقبائل النجدية ، كتميم، وقيس، وأسد؛ بل إن أهل الحجاز كانوا يُميلون ولكن بنسب أقل، فقد ذكر السيوطي في الإتقان (أن صفوان بن عسال سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقرأ :(يَا يَحْيَى)(مريم من الآية 12)، فقيل يا رسول الله تميل وليس هي لغة قريش ؟ فقال هي لغة الأخوال بني سعد)[12].

وبنو سعد هم حَضَنَةُ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وينتهي نسبُهم إلى قيس[13].

وقد دلت النصوص على أن القبائل الحجازية كانت تُميل ولكن بنسب أقل ؛ لذلك نرى سيبويه في كتابه يشير إلى أن الإمالة لغةُ القبائل النجدية ، والفتحَ لغةُ أهل الحجاز، ولكن قد نجد من يُميل من أهل الحجاز ، ومن يفتح من قبائل نجد ، يقول

(واعلم أنه ليس كل من أمال الألِفات وافق غيره من العرب ممن يُميل ، ولكنه قد يخالف كلٌّ واحد من الفريقين صاحبَه ، فيَنصب بعضاً مما يُميل صاحبهُ ، ويُميل بعضاً ما ينصب صاحبهُ ، وكذلك من كان النصبُ من لغته لا يوافق غيره ممن ينصب ، ولكنَّ أمره وأمر صاحبه كأمر الأَوَّلَيْن في الكسر، فإذا رأيت عربياً كذلك فلا تُرَيَنَّهُ خلَّط في لغته ، ولكن هذا من أمرهم)[14].

وإذا ما اتجهنا إلى عالمنا الجليل ـ الزهري ـ وتصفحنا اختياراته في حروف القرآن ، نجد أن الرجل لم ترد عنه حروف في الإمالة، إلا حرفان فقط، هو قوله تعالى

(كهيعص)(مريم:1) فقد قرأ بإمالة الهاء ، والياء ، وبذلك يكون قد وافق الكسائي ، وأبا عمرو، وعاصماً في رواية شعبة ، وهي قراءة سبعية عشرية متواترة[15].

والسبب في قلة ورود الإمالة في قراءته ، هو أن البيئة التي عاش فيها بيئةٌ حجازية ، مدنية ، مقلة بالإمالة ، وشيوخه الذين لقَّنوه أصولَ القراءة كانوا مدنيين ، حجازيين ومقلين في الإمالة كذلك، ولكن في هذه الآية نجد أن قراءته خالفت تلك السمات اللهجية الشائعة في بيئته الحجازية، وهي الميل نحو الفتح ، وهذا ما برره نص سيبويه المذكور سلفاً

2 ـ **الهمز** :

لا شك أن الهمز من أعقد مشكلات الأصوات العربية ، ويرجع سبب ذلك إلى الاختلاف في ماهيته ، وعلاقته بغيره من حروف المد، واللين وإنتاج هذا الصوت يتطلب عمليتين متكاملتين

الأولى : انسداد طريق الهواء بانطباق الوترين الصوتيين .

الثانية : اندفاع الهواء بعد فتحها مُحْدِثاً انفجاراً [16].

ومما لا شك فيه أن انحباس الهواء عند الوترين الصوتيين انحباساً تاماً، ثم فتحهما فجأة عملية تحتاج إلى جهد عضلي يزيد على أيِّ جهد يحتاجه صوت آخر عند حدوثه، وهذا ما جعل العلماء يعدُّون الهمزة من أشقِّ الأصوات، ومن هنا تنوعت أحكامُها في كتب القراءات

وقد تفاوتت القبائل العربية في نطق هذا الصوت ، فمنها من يهمز في كلامه ، ومنها من يسهِّل

وقد رصد علماءُ اللغة القبائل التي تحقق الهمزة ، فوجدوا أن ذلك ينتشر بين قبائل وسط الجزيرة، وشرقها، كقبيلة أسد، وقيس، وتميم، وتيم الرباب، وغني، وعكل، وعقيل؛ لما في بيئتهم من شدة، وقسوة

كما وجدوا أن القبائل الحجازية، هُذيلاً، وقريشاً، وكنانة، وسعد بن بكر، وغيرها تميل إلى التخلص من الهمزة، إما بتسهيلها، أو بحذفها، أو تخفيفها [17].

والحق أنه قد نجد بعض الظواهر اللهجية في الهمز ـ كما رأينا في الإمالة ـ تناقض هذا التقسيم؛ لأن اللهجات لا تميل إلى المحافظة على قالب واحد، بل تميل إلى التطور دائماً

فقد نجد تحقيق الهمز منتشراً أيضاً بين القبائل الحجازية آنفة الذكر، كما نجد تسهيل الهمز منتشراً بين القبائل البدوية السابقة، ولكن ذلك بنسب أقل، ويؤيد ذلك ما رواه أبو زيد من أن (أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون، وقف عليها عيسى بن عمر، فقال ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر، وهم أصحاب نبر، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا) [18].

وقد فسر الدكتور إبراهيم أنيس هذا الاضطرار بأن الحجازيين كانوا يلتزمون تحقيق الهمز في الأساليب الأدبية، من شعر، أو خطابة، أو كلما عنَّ لهم أمر جديٌّ يتطلب استعمال اللغة النموذجية الأدبية [19].

وإذا تلمسنا هذه الظاهرة اللغوية في اختيارات الإمام الزهري، فسوف نقف على تجسيد لظاهرة تسهيل الهمز، التي اشتهرت بها البيئة الحجازية، بل نستطيع أن نقول إن هذه الظاهرة اللغوية قد أخذت النسبةَ الأكبر من اختياراته، فقد شملت خمساً وثلاثين مفردة من مجمل مئة وثمان قراءات، جمعناها له من معجم القراءات القرآنية كما أسلفنا، وهذه المفردات تتراوح ما بين تحقيق الهمزة، وتخفيفها، وإبدالها، وقد أتت ستُ مفردات متواترة، وتسع وعشرون مفردة شاذة، ويأتي شذوذها من كونها رواية آحاد

ونحن سنذكر أحكام الهمزة المفردة في كلمة ، وأحكام الهمزتين المتلاصقتين في كلمة أيضاً ، من حيث التحقيق ، أو التخفيف ، أو البدل ، وبما هو موجود ضمن اختيارات الإمام الزهري

فالهمزة يكون فيها أشياء ثلاثة التحقيق ، والتخفيف ، والبدل.

الأول : التحقيق نحو قولنا سَأَلَ، بِئْسَ، سُؤْرٌ

الثاني : التخفيف ، أو التسهيل ، أو التليين ، أو بين بين وهو أن تجعل الهمزة فيه بين بين ، أي أن تجعل الهمز من مخرج الهمزة ، ومخرج الحرف الذي فيه حركة الهمزة ، أما مرسوم الخط فيكون مثلَ مرسوم الإبدال ، أي بدون همز

ويكون التخفيف في الهمزة المفتوح ما قبلها ، والهمزة المكسورة ، المفتوح والمضموم والمكسور ما قبلها ، والهمزة المضمومة ، المضموم والمفتوح والمكسور ما قبلها

الثالث : البدل ويكون في الهمزة المفتوحة المسبوقة بكسر ، فإنها تُبدل ياءً ، ويكون كذلك في الهمزة المفتوحة المسبوقة بضم ، فالهاء تُبدل واواً وإنما منع أن تُجعل الهمزة هنا بين بين؛ لأنها مفتوحة ، فلا يمكن أن يُنحى بها نحو الألف وقبلها كسرة أو ضمة؛ لأن الألف لا يكون ما قبلها مكسوراً ، ولا مضموماً ، وكذلك يكون البدل في الهمزة الساكنة المفتوح ، والمضموم ، والمكسور ما قبلها .[20]

أـ الهمزة المفردة :

ـ الهمزة المفردة الساكنة : ومنه قوله جل ثناؤه (هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثاً وَرِئْياً)(مريم من الآية74)، قرأ الزهري ، وأبو جعفر ، ونافع (ورِيًّا ، بإبدال الهمزة ياءً ، ثم إدغامها في الياء التي بعدها ، وهي قراءة صحيحة ، متواترة .[21]

قال الفراء وأهل المدينة يقرؤونها بغير همز (وَرِيًّا) ، وهو وجه جيد ؛ لأنه مع آيات لسن بمهموزات الأواخر .[22]

ـ الهمزة المفردة المتحركة :

أولا: الهمزة المتحركة قبلها متحرك :

1ـ الهمزة المفتوحة ، المسبوقة بمفتوح :

قوله جل شأنه (مُؤْمِناً خَطَأً)(النساء من الآية 92) قرأ الزهري (خَطًا) بدون همز ، وهي قراءة شاذة .[23]

وقوله جل شأنه (لَهُنَّ مُتَّكَأً)(يوسف من الآية 31) قرأ الزهري (مُتَّكًا)، بدون همز ، وهي أيضا قراءة شاذة .[24]

والشاهد في هاتين الآيتين ، أنه حذف الهمزة فيهما ، ولم يبدلْها ، أو يخففْها ، وهذا الحذف غير قياسي ، ومن هنا أتى شذوذ هاتين القراءتين؛ لأنهما ضعيفتان في العربية [25]، فضلا عن أنهما روايتا آحاد

2ـ الهمزة المضمومة المسبوقة بمفتوح :

من ذلك قوله جل شأنه (بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ)(البقرة من الآية 143) قرأ الزهري(لَرَوْفٌ) بتخفيف الهمزة ، وهي قراءة شاذة .[26]

وقوله جل شأنه (وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا)(البقرة من الآية 255) قرأ الزهري (يَوُوْدُهُ) بتخفيف الهمز ، وهي قراءة شاذة أيضاً .[27]

وقوله جل شأنه (يَكْلَؤُكُمْ)(الأنبياء من الآية 42) قرأ الزهري (يَكْلَوْكُمْ) بضمة خفيفة من غير همز ، وهي قراءة شاذة أيضا .[28]

ومن الملاحظ أن الزهري خفف هذه الهمزة في المواطن الثلاثة ، فجعلها بين بين ، أي بين الهمزة ، والواو ؛ لأنها مضمومة .[29]

3ـ الهمزة المضمومة المسبوقة بكسر :

ومنه قوله جل ثناؤه (والصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى)(المائدة من الآية 69) قرأ الزهري (والصَّابِيُوْنَ) بياء، وهي قراءة شاذة .[30]

وقوله جل ثناؤه (لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ)(التوبة من الآية 37) قرأ الزهري (لِيُواطِيُوا)، وهي قراءة شاذة أيضا .[31]

وقوله جل ثناؤه (كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ)(العنكبوت من الآية 19) قرأ الزهري (يَبْدَا) بألف ، وبغير همز أيضا ، وهي قراءة شاذة [32].

أما (الصابيون)، قال ابن جني هو على قياس(يستهزيون)، بياء غير مهموزة [33].

وأما (يبدا)، فقد أبدل الهمزة ياءً (يُبْدي) ، ثم أبدل من الياء ألفاً (يبدا) ، وأجراها مجرى ألف (يخشى)، كما أبدل الشاعر

إذا مَلاَ بطنَه ألبانُها حَلَبًا باتتْ تُغَنِّيْهِ وَضْرَى ذاتُ أجراسِ

أراد (مَلأَ) فأبدل من الهمزة ياء، ثم أبدل من الياء ألفا للفتحة التي قبلها ، فصارت (ملا) بوزن(قضى ـ سعى) [34].

4ـ الهمزة المكسورة قبلها ضم :

قوله تعالى (كَمَا سُئِلَ مُوسَى)(البقرة من الآية 108) قرأ الزهري بإشمام كسرة الفاء ضمة،(سُيِل) كـ(قُيِل ـ بُيع)، وهي قراءة شاذة [35].

وقراءة الإشمام إذا كانت على إبدال الهمزة ياء ، فهي شاذة من حيث اللغة ؛ لأن حقها أن تخفف الهمزة بين بين [36].

ثانياً : الهمزة المتحركة قبلها ساكن :

لا يخلو هذا الساكن الذي يأتي قبل الهمزة المتحركة من أن يكون (ألفاً)، أو (واواً)، أو(ياءً)، أو حرفاً صحيحاً، فإذا أُريد تخفيف الهمز مع هذه السواكن، ففيه حالات ثلاث

الأولى: إذا كان الساكن (ألفاً) ، فإن الهمزة تُخفف بين بين ، ويجوز الإبدال، ومنه قوله تعالى (يَا بَنِي إِسْرائيلَ)(البقرة من الآية40) قرأ الزهري (إسراييل)، و (إسرايل)، واحدة بإبدال الهمزة ياءً ، والأخرى بإسقاط هذه الياء المبدلة، وهما قراءتان شاذتان [37].

وقراءته (إسراييل) بإبدال الهمزة ياءً، إنما هي لغة من لغات العرب في هذا الاسم الأعجمي[38].

الثانية: إذا كان الساكن (واواً) ، فيجوز في الهمزة الحذف ، والفاء حركتها على الحرف الذي قبلها ، ويجوز أن تبدل واواً ، وتدغم في الحرف الذي قبلها ، ومنه قوله جل ثناؤه

(مِنْ سَوْآتِهِمَا)(لأعراف من الآية20) قرأ الزهري (سَوَّاتِهما)، بتشديد الواو، ومع ألف ، وهي قراءة شاذة [39].

وقوله تعالى (يُوَارِي سَوْآتِكُمْ)(لأعراف من الآية 26) قرأ الزهري (سَوَاتِهما - سَوَّاتِهما) بتخفيف الواو ، وكسر التاء، وبتشديد الواو، وفتح التاء، وهما قراءتان شاذتان [40].

وتعليل الوجهين (سواتهما - سوَّاتهما) ، فهو على إبدال الهمزة واواً ، ثم إدغامها في الواو الساكنة، وهو إبدال قياسي نص على ذلك سيبويه إذ يقول :(وإن كانت - أي الواو الساكنة مع الهمزة - في كلمة واحدة ، نحو سَوْأَةٌ .حذفوا ، فقالوا . سَوَةٌ .لأنه بمنزلة ما هو من نفس الحرف، وقد قال بعض هؤلاء . سَوَّةٌ .شبهوه بأوَّنت) [41].

والذي يُفهم من هذا النص، أن الحذف، والإبدال في نحو هذا جائز، وهو القياس، وقد اختار ابن جني الحذف (سَوَةٌ)، قال لأن الإبدال أضعف اللغتين، وكذلك لما يوهم(سَوَّة) أنه من مضاعف الواو، نحو القوَّة [42].

الثالثة: إذا كان الساكن ياءً

ومنه قوله جل ثناؤه (كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ)(آل عمران من الآية 49) قرأ الزهري (كَهَيَّةِ) بدون همز ، وتشديد الياء ، وهي قراءة شاذة[43].

وقوله جل ثناؤه (هَنِيئاً مَرِيئاً)(النساء من الآية 4) قرأ الزهري(هَنِيًّا مَرِيًّا)، بدون همز ، وبتشديد الياء في الكلمتين ، وهما قراءتان شاذتان [44].

وقوله جل ثناؤه (وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً)(النساء من الآية 112) قرأ الزهري (خَطِيَّةً) بدون همز ، وبتشديد الياء، وهي قراءة شاذة[45].

وتعليل هذه القراءات؛ أنه قلب الهمزة ياءً ، ثم أدغمها في الياء الأولى، فأصبح (كَهَيَّة، هَنِيًّا، مرياً ، خطية)، وهو إبدال، وإدغام على القياس

الرابعة : إذا كان الساكن حرفاً صحيحاً، وبعده همزة فإن لها حالة واحدة، وهي حذفها ، وإلقاء حركتها على الحرف الساكن قبلها

ومنه قوله جل ثناؤه (مَذْءُوماً مَدْحُوراً)(لأعراف من الآية 18) قرأ الزهري (مَذُوْمًا) بالواو من غير همز ، وهي قراءة شاذة [46]، حيث ألقى حركة الهمزة على الذال، ثم حذفها[47].

ومنه قوله جل ثناؤه (مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ)(الحجر من الآية 44) قرأ الزهري (جُزٌّ) بتشديد الزاي ، وهي قراءة عشرية متواترة[48]. والأصل (جُزٌّ) على وزن (فُعْلٌ) من جزأت الشيء ثم خفف الهمزة ، فصارت (جزٌّ)؛ لأنه حذفها، وألقى حركتها على الزاي قبلها، ثم أنه نوى الوقف على لغة من شدد في الوقف، نحو (خالدّ) بتشديد الدال، فصارت في الوقف (جزٌّ) ثم أطلق، وهو يريد نية الوقف، وأقر التشديد، فقال جزٌّ[49].

ومنه قوله تعالى (بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ)(البقرة من الآية102) قرأ الزهري : (المَرِ ـ المَرِّ) بتخفيف الراء ، وبدون همز ، وبتشديد الراء وبدون همز أيضاً، وهما قراءتان شاذتان[50].

ووجهه أنه نقل حركة الهمزة إلى الراء، وحذف الهمزة، فأصبحت (المرِ)، وهذا هو القياس في هذه الهمزة ، ثم نوى الوقف، فأسكن، وثقل الراء على لغة من قال في الوقف (خالدّ)، ثم وصل الكلام على نية الوقف، فأقر التثقيل على إرادة الوقف[51].

قال أبو حيان وهذا التوجيه توجيه شذوذ وقال ابن جني وهذه الضرورة من أغراض الشعر لا القرآن .[52]

ومن هنا فقراءة (المَرِ) على القياس، وقراءة (المَرِّ) بالتشديد شاذة من حيث اللغة، فضلاً عن كونها رواية آحاد.

ب ـ الهمزتان المتلاصقتان في كلمة ، وتكون الأولى للاستفهام

ومنه قوله جل ثناؤه (أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ)(البقرة من الآية6) قرأ الزهري (أَنْذَرْتَهُمْ) بحذف همزة الاستفهام ، وهي قراءة شاذة .[53]

قال ابن جني تقديره (أأنذرتهم) بهمزتين ، ثم حذفت همزة الاستفهام تخفيفاً؛ لاستثقال الهمزتين؛ ولأن التسوية لا بد أن تكون بين شيئين، أو أكثر، وكذلك لمجيء أم المعادلة بعدها ، وقد جاء حذفها كثيراً ، ومنه قول عمر بن أبي ربيعة

لعمرك ما أدري وإن كنت داريا بسبعٍ رمينَ الجمرَ أم بثمانِ ؟

يريد أبسبعٍ ؟ .[54]

الإتباع أو المماثلة في الحركات ذكرنا في ظاهرة الإمالة أن الهدف منها هو التقريب بين الأصوات من أجل الانسجام بينها ، من أجل التيسير أثناء عملية النطق ، والاقتصاد في الجهد العضلي

والإتباع كذلك ضرب من المماثلة، فهو أن يؤثر الصوت بالصوت الذي قبله، أو أن يتأثر بالصوت الذي بعده، فيقرِّبُه منه؛ لضرب من التشاكل [55]

وقد عدَّ المحدثون هذه الظاهرة من ظواهر التطور في حركات الكلمات (فالكلمة التي تشتمل على حركات متباينة تميل في تطورها إلى الانسجام بين هذه الحركات حتى لا ينتقل اللسانُ من ضم إلى كسر إلى فتح في الحركات المتوالية) [56]،لذلك نجد القبائل البدوية تميل إلى تقريب الأصوات بعضها من

بعض مراعاة للانسجام بين هذه الأصوات ؛ لأن ذلك يجعل اللسان يعمل من وجه واحد؛ فتتيسر عملية النطق

وقد رصد العلماء هذه الظاهرة التي تنتشر أكثر في القبائل البدوية ، فوجدوا أنها تمثل تطوراً لظاهرة (عدم تقريب الأصوات) التي تتميز بها القبائل الحجازية المتحضرة، التي تميل إلى تحقيق الأصوات ، والتأني في النطق ؛ لذلك فقد نُسبت هذه الظاهرة إلى قبائل تميم ، وأسد ، وقيس ، وبكر بن وائل ، وغيرها من القبائل البدوية ،فيما نُسبت ظاهرة عدم الانسجام بين الحركات إلى قبائل الحجاز

وعندما نقف على اختيارات عالمنا الجليل نجد أن هذه الاختيارات كانت صدى لبيئته الحجازية التي لا تميل إلى الانسجام بين الحركات

من ذلك قوله جل ثناؤه (لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ)(آل عمران من الآية 75) قرأ عاصم في رواية حفص (يؤدِّهِ) بكسر الدال المشددة ، وكسر هاء الضمير إتباعاً لكسرة الدال ، وهي قراءة سبعية متواترة [57].

وقرأ الزهري، وأبو جعفر المدني (يُؤَدِّهُ) بضم الهاء، وروي عن الزهري أيضاً (يؤدهو) بضم الهاء، وواو بعدها، وهما قراءتان شاذتان؛ لأنهما رويتا آحادٍ [58].

وفي قوله جل ثناؤه (يَهْدِي بِهِ اللَّهُ)(المائدة من الآية 16) اتفق القراء السبعة على كسر هاء الضمير. حيث وقع في القرآن - إتباعاً لكسرة الباء، وهي قراءة سبعية متواترة [59].

وقرأ الزهري وابن محيصن المكي (بِهُ) بضم هاء الضمير حيث - وقع في القرآن - وهي قراءة شاذة [60].

وأصل هاء الغائب الضم ، نحو جاءهُ ، لهُ ، عندهُ ، وتكسر إتباعاً إذا جاء قبلها كسرة ، نحو بهِ ، أو جاء قبلها ياءٌ ، نحو فيهِ ، عليهِ ، وكسرها بعد الكسرة ، وبعد الياء الساكنة هي لغة غير الحجازيين

أما الحجازيون فلغتهم ضم هاء الغائب مطلقاً .(61)

وقد قرأ عالمُنا بلغة أهل الحجاز التي لا تميل إلى الانسجام بين الأصوات ؛ لأنه ـ كما قلنا ـ حجازي ، وكأنه نظر إلى أصل نطق هذا الضمير فاختار القراءة بهذا الأصل؛ لذلك قال سيبويه (وأهل الحجاز يقولون مررت بهو قبل ، ولَدَيْهو مالٌ ، ويقرؤون (فخسفنا بهو وبدارهو الأرضَ)(القصص 81) .(62)

ومن المعروف أن عاصماً في رواية حفص قد اختار لفظتين في روايته قرأهما على هذه اللغة الحجازية ، وهما

قوله تعالى (وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ)(الكهف من الآية63)

وقوله تعالى (بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ)(الفتح من الآية10)

ثانياً : الظواهر اللغوية :

1. الاجتزاء بالحركات عن أحرف المد ، ومطل الحركات حتى تصبح حروف مد

تعتبر ظاهرة الحذف في العربية من أهم الظواهر اللغوية، وهي تشمل الجملة، والمفرد (الاسم ، الفعل ، الحرف)

وإذا كان الحذف يعد مظهراً بارزا في الجملة ، والكلمة، فإننا نجد له أثراً في الحرف أيضاً، إذ إن العربي قد يجتزئ بالفتحة، والضمة، والكسرة عن أحرف المد التي هي (الألف ، والواو ، والياء) ولا غرابة في ذلك، إذ أن الحركات الثلاث (الفتحة ، والضمة ، والكسرة)، إنما هي أبعاضٌ لهذه الأحرف، وأنصافٌ لها

وقد ورد حذف هذه الأحرف كثيراً في كلام العرب شعرِهم، ونثرِهم، فضلاً عن وجود هذه السمة في كتاب الله العزيز

وقد حاول علماء اللغة رصد ظاهرة الحذف هذه، وتتبع مناطق شيوعها، فوجدوا أنها منتشرة في القبائل البدوية التي تميل إلى أيسر السبل في نطقها، فتُسْقِطُ بعض الأصوات من الكلمات أثناء النطق بها

وفي مقابل ظاهرة الاجتزاء بالحركات عن أحرف المد هناك ظاهرة تسمى (ظاهرة مطل الحركات)، أو (إشباع الحركات حتى تصبح حروف مد)

وقد عقد ابن جني ـ في كتابه الخصائص ـ باباً لهذه الظاهرة أسماه (باب في مطل الحركات)، عزا فيه هذه الظاهرة إلى طبيعة هذه الأصوات، وقدرتها على الاستجابة للمد ، والاستطالة في الحالات النفسية المختلفة عند الإنسان ، حين التذكر ، والتوقف ، وحاجة الإنسان إلى إطالة الصوت في مثل هذه المناسبات، لذلك فإن العرب عندما أرادت مطلهنَّ للندبة ، وإطالة الصوت بهنَّ في الوقف ، أتبعتهنَّ الهاءَ في الوقف ، توفيةً لهنَّ ، وتطاولاً إلى إطالتهنَّ (63).

وقد وردت هذه الظاهرة في اختيارات الإمام الزهري ، حيث طبعت بعضاً من مفردات قراءته

من ذلك قوله جل ثناؤه (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ)(آل عمران من الآية106) قرأ الزهري ، وابن محيصن المكي(. تبياضُّ .وتسوادُّ بألفين في الكلمتين ، وهما قراءتان شاذتان (64).

وتعليل هاتين القراءتين مطل فتحة الياء من (تبيض)، فنتج عنها ألف ، كما مطل فتحة الواو من (تسود) ، فنتج عنها ألف أيضاً

ولا ضير في ذلك، فالموقف في هذا اليوم الفاصل في مسيرة الإنسان يستدعي التوقف، والتدبر، والحذر لما يؤول إليه حاله، ويصبح عليه مآله، وما مطل الفتحة في الكلمتين إلا تعبير صادق لهذا الموقف الرهيب

ومن ذلك قوله جل ثناؤه (يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ) (الكهف من الآية77)، قرأ الزهري(ينقاضَّ ، بألف بعد القاف ، وهي قراءة شاذة [65].

فقد مطل الفتحة ، فنتج عنها ألف ، فأصبحت (ينقاض) بألف بعد القاف، ولا ضير في ذلك أيضاً ، فالموقف موقف حاجة، وقد لزَّتْ هذه الحاجة موسى ـ عليه السلام ـ والخضر إلى المسألة، فلم يجدا مواسياً ، فلما أقام الجدار لم يتمالك موسى نفسه لما رآى من الحرمان ، ومساس الحاجة [66]، والتبس عليه ظاهر الأمر، من باطنه، فمطل الفتحة حتى تولد عنها ألف، وهو تعبير صادق لما رآه من ذلك الظاهر

2. بين التشديد والتخفيف

تذهب الدراسات اللغوية الحديثة إلى أن القبائل التي تتصف بالبداوة تميل إلى الشدة في كلامها ، وهو أمر يتلاءم مع ما عُرف عن البدو من غلظة ، وجفاء في الطبع [67].

وقد عزا علماءُ اللغة ذلك إلى أن (البدو يعيشون في الصحاري المترامية، وهذه الصحارى يفنى فيها الصوت ، ويذوب في جَنباتها ، فلا تكاد تَتَّضح، لذا حرص هذا البدوي على توضيح أصواته حتى تسمع ، ولجأ إلى هذا بطرق شتى ، منها الجهر ، والتفخيم ، والشدة) [68].

وأما القبائل المتحضرة، فقد سارت على عكس ذلك ، فهي تلجأ إلى التُّؤَدَةِ ، والليونة ، والخفة في كلامها؛ لأن ذلك ينسجم مع بيئتها، وطبيعتها المتمدنة، ومن هنا فقد عزا علماءُ اللغة التشديدَ إلى القبائل البدوية، كتميم، وأسد، وقيس، وربيعة، وعزوا التخفيف إلى القبائل الحجازية، كقريش، وأهل العالية [69].

ومن المعروف أن في التشديد زيادة في المعنى لا تحتملها الصيغُ المخففةُ؛ وذلك متأتٍّ من زيادة المبنى الذي يلحق بالصيغ المشددة؛ وهذا المعنى المراد يأتي

للتكثير، أو المبالغة، أو تكرير الحدث ومداومتِه، أو التوكيد، وكأنَّ ذلك أبلغُ في المعنى [70].

والذي يبدو أن التشديد هو من الصفات اللهجية التي اقتبستها الفصحى من تلك القبائل البدوية التي تميل إليه ، حتى أنَّا لنجدُ القرآن الكريم ـ بقراءاته المتواترة ، والشاذة ، والتي تعد مرآة صادقة للهجات القبائل قد استعمل ظاهرتي التخفيف ، والتشديد ، ونزل بكل منهما ويظهر ذلك جليا في اختيارات الإمام الزهري

فإذا ما نظرنا إلى تلك الاختيارات ، نلاحظ أنها لم تكن صدى لبيئته اللغوية ، بل كثيرا ما كان المعنى الذي انقدح في ذهنه ـ لتوجيه القراءات على الوجه الذي يرتضيه قلبه ، ويطمئن له عقله ـ هو الموجه لتلك الاختيارات، مفضِّلاً التشديدَ تارةً ، والتخفيفَ تارةَ أخرى

فمما فَضَّلَ فيه التخفيف على التشديد

قوله جل ثناؤه (يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ)(البقرة من الآية49) قرأ الزهري ، وابن محيصن المكي (يَذْبَحون) بالتخفيف ، وهي قراءة شاذة [71] .

قال ابن جني إن صيغة (فَعَلَ ـ ذَبَحَ) بالتخفيف قد يكون فيه معنى التكثير أكثر من (فعَّل ـ ذَبَّحَ) بالتشديد ؛ وذلك لأن (فَعَلَ) فعل يدل على المصدر (فَعْلٌ)، والمصدر اسم جنس ، وكفى باسم الجنس سعةً، وعموماً، ألا ترى إلى قول الشاعر

أنت الفداءُ لقبلةٍ هَدَّمْتَها ونَقَرْتَها بيديك كُلَّ مُنَقَّرِ

فقال (نَقَرْتَهَا) مخففة مع أن السياق يقتضي أن يقول (نَقَّرْتَهَا)؛ لأنه أتى بعده (مُنَقَّرِ) بالتشديد [72] ، وهذا أبلغ في المعنى

ومن القراءات التي فضل فيها وجه التشديد على التخفيف

قوله جل ثناؤه (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) (يوسف من الآية 110) قرأ الكوفيون من السبعة (كُذِبُوا) مخففاً، وقرأ الباقون من السبعة، والزهري: (كُذِّبُوا) مشدداً، وهما قراءتان متواترتان .[73]

فمن شدد فالظن ـ هاهنا ـ للأنبياء، وهو ظن علم، ويقين، ومعناه حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يؤمنوا، وظنوا، أي وعلموا أن قومهم قد كذبوهم، جاءهم نصرُنا، أي جاء الرسلَ نصرُنا

ومن قرأ بالتخفيف ، فالظنُّ ظنُّ شكٍّ، من الكافر، والتقدير فظن الكافرُ أن الرسل قد كَذَبُوا فيما أَوْعَدُوا أن يأتيهم من النصر .[74]

3 ـ التخفيف بالإسكان

من المعروف أن العرب عرفت ظاهرة التخفيف ، فراعوها في كلامهم، وذكر ابنُ جني أنهم كانوا يُؤْثِرون الإسكانَ ، والفتحَ في كثير من الكلمات على الضمِّ، والكسر ، وما ذلك إلا لأنهم يستثقلون الضمةَ، والكسرةَ، وذلك دليلٌ على ذوقهم للحركات ، واستثقالهم بعضَها، واستخفافِهم بعضَها الآخر، وما ذلك إلا لإمعانهم النظرَ في هذا القَدْرِ اليسير من الأصوات .[75]

وهذه الظاهرة في حقيقتها إنَّما تُؤدي إلى اختصار الجهد المبذول في نُطق الكلمة عند المتكلم من جهة، واختصار الزمن لديه من جهة أخرى .[76] لذلك نجد هذه الظاهرة عند القبائل البدوية التي تميل إلى الخفة والسرعة في نطقها للكلمات، وما ذلك إلا اقتصادٌ في الجهد العضلي الذي يبذلُه المتكلمُ من تلك القبائل

أما القبائل الحجازية، فإنها تَميل على التَّأَنِّي في النطق، وتتابع الحركات، وإعطاء كلِّ حرف حقَّه

ونلحظُ هذه الظاهرةَ مترسِّمةً في اختيارات الإمام الزهري في حالة إسكان المضموم

ومن ذلك قوله جل ثناؤه (أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ)(البقرة من الآية 196) قرأ الزهري(نُسْك) بإسكان السين تخفيفاً ، وهي قراءة شاذة .[77]

وقوله عز شأنه (وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ)(فاطر من الآية 11) قرأ الزهري(عُمْرِهِ بإسكان الميم تخفيفاً، وهي قراءة شاذة .[78]

4 ـ اختلاف الحركات :

تباينت القبائل العربية في استعمالها للحركات في بِنْيَةِ الكلمة حين النطق بها ، فقد تُؤْثِرُ هذه القبيلة ، الضم ، أو الفتح ، أو الكسر ، في حين تُؤثر غيرها عكس ذلك

وكل ذلك يتماشى مع ما تميل إليه هذه القبائل من عادات ، ولهجات قبلية متوارثة عبر الأزمنة

وقد وردت في اختيارات الإمام الزهري مفرداتٌ تَعكسُ لنا هذه الظاهرة ، ولكن دون التقيد بما يُنسب إلى القبائل النجدية ، أو الحجازية ، بل إن المعنى الذي انقدح في ذهنه هو السبيل لهذه الاختيارات

من ذلك قوله جل ثناؤه (وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ) (النور من الآية 11) قرأ الزهري (كُبْرَهُ) بضم الكاف ، وهي قراءة عشرية متواترة .[79]

قال اليزيدي الكِبْرُ ، والكُبْرُ ، بكسر الكاف ، وضمها لغتان

(الكِبْرُ) بكسر الكاف هو معظم الشيء ، أي الذي تولى معظمَ الإفك منهم أما (الكُبْرُ) بضم الكاف هو الوزر ، والإثم ، أي الذي تولى إثمَه ، ووزرَه ، منهم .[80]

ورُبَّما يختار الزهري قراءةً تخالف ما تَنْطقُ به بيئتُه الحجازية، وما كل ذلك إلا لتداخل اللغتين الحجازية، والنجدية؛ نتيجة للاختلاط بين هذه القبائل، فضلاً عن العلة المذكورة سلفاً

من ذلك قوله جل ثناؤه (مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ)(الطلاق من الآية6) قرأ الزهري وَجْدِكُمْ بفتح الواو، وهي قراءة شاذة .[81]

(وُجْدِكُمْ)، و (وَجْدِكُمْ) بضم الواو، وفتحها لغتان، و(وَجْدِكُمْ) بفتح الواو لغة تميم

والوجد الوسع، والطاقة والمعنى أسكنوهنَّ مكاناً من مسكنكم مما تُطِيقونه .[82]

ثالثاً: الظواهر النحوية :

من المعروف أن الكلام ينقسم إلى اسمٍ، وفعلٍ، وحرفٍ ويقع الاسم في آياتٍ من الذكر الحكيم، محتملاً لحالات، الرفع، والنصب، والجر، كل ذلك بحسب المعنى الذي يُفضِّله القارئُ على غيره، وفي ذلك يختلف القراءُ في اختياراتهم لإحدى هذه الحالات مما ينقدحُ في ذهن القارئ؛ لعلة يستوجبُها سياقُ الآية برأي يفضِّله على غيره

ومن هنا اختلف المفسرون، والنحاةُ في إعرابه، ودِلالةِ هذه الآية، أو تلك بحسب الإعراب

وقُل مثل ذلك في الفعل، في أزمنته الثلاثة الماضي، والمضارع، والأمر، عندما يكون منصوباً، أو مرفوعاً، أو مجزوماً، أو مبنياً على الفتح، أو السكون، أو عندما يكون مؤنثاً مع فاعله، أو مذكراً مع ذلك الفاعل

أما الحرف فلا يختلف عن ذلك أيضاً، فقد يكون في قراءة نافياً للجنس، وفي أخرى مُشَبَّهاً بليس، أو أن يكون مشدَّداً مرة، ومخففاً أخرى، أو أن يكون مفتوحاً، أو مكسوراً، أو أن يقع بين حالتي الإسكان والكسر

وقد أُثر عن الإمام الزهري اختياراتٌ يُفضِّلُ فيها وجهاً على وجه آخر مما ذكرنا؛ لعلة يستوجبها سياقُ المعنى في نظره

1 ـ فمن الأسماء

قوله جل ثناؤه (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ)(سبأ من الآية 20) قرأ الزهري (ظنُّه) مرفوعاً ، وهي قراءة شاذة .(83)

قراءة النصب (ظنَّه) منصوب على نزع الخافض، أي صدق إبليس عليهم في ظنِّه، حيث كان قدَّر فيهم شيئاً، فبلغَه منهم، فصدق ما كان أودعه ظنُّه في معناه .(84)

وذلك أن إبليس ـ لعنه الله ـ قال ظنِّيًّا، لا مستيقناً (وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ)(النساء من الآية 119) فلما تبعه من سبق شقاؤه عند الله صدق ظنُّه

قال ابن عباس ظنَّ ظنًّا، فصدق ظنه

أما قراءة الزهري (إبليس ظنُّه) بالرفع ، فهو على معنى البدل، أي ولقد صدق عليهم ظنُه(85) والبدل على نية إسقاط المبدل منه، أو على نية تكرار العامل

2 ـ ومن الأفعال

قوله جل ثناؤه (وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ)(الكهف من الآية47) قرأ الزهري (تُسَيَّرُ الجبالُ) بالبناء للمجهول، وهي قراءة سبعية عشرية متواترة .(86)

من قرأ :(يومَ نُسَيِّرُ الجبالَ) بنصب (اليومَ)، وضم النون، ونصب (الجبالَ) ، فهو أن الله ـ سبحانه ـ يخبر عن نفسه، و (يومَ) منصوب على

إضمار فعل، والتقدير واذكر يا محمد يومَ نُسير الجبالَ، وترى الأرض بارزةً، أي ظاهرةً لا يَسيرُ فيها شيء؛ لأن الجبال إذا سُيرت عن الأرض ، أي طارت، فأصبحت هباءً منثوراً ، وصارت الأرضُ دكَّاءً ملساءَ ظهرت، وبرزت

وقيل المعنى يكون وترى الأرضَ بارزةً ، أي تُبْرِزُ ما فيها من الكنوز، والأموات، وهو شبيه بقوله وترمي الأرضُ أفلاذَ أكبادِها .[87]

وأما قراءة الزهري (تُسَيَّرُ الجبالُ) بالتاء، فهو لتأنيث الجبال، وهو فعل مبني للمجهول، وحجته في ذلك قراءة أُبيٍّ بنِ كعب ـ رضي الله عنه ـ بالماضي (ويومَ سُيِّرَتِ الجبالُ) فإذا كان الماضي (سُيِّرَت)، كان المضارع (تُسَيَّرُ) .[88]

3 ـ ومن الحروف

قوله جل ثناؤه (وَلْيَخْشَ الَّذِينَ)(النساء من الآية 9) قرأ الزهري (ولِيَخْشَ) بكسر لام الأمر ، وهي قراءة شاذة .[89]

لام الأمر حقُّها أن تُكْسَرَ ، إلا أنهم أسكنوها إذا أتى قبلها واوٌ ، أو ألفٌ تخفيفاً لثقل الكسرة فيها، وفرَّقوا بينها وبين لام (كي) بأنْ لم يُسَكِّنُوها، فقراءة الزهري أتتْ على الأصل الذي يتوجب أن تكون عليه لامُ الأمر، ولكنَّ شذوذَها أتي من حيثُ كونُها روايةُ آحاد

رابعاً الظواهر الصرفية

المقصود بالظواهر الصرفية، هي تلك المفردات التي تشتمل على أهم موضوعات الصرف العربي، من جمعٍ، وتثنيةٍ، وإفرادٍ، وتذكيرٍ، وتأنيثٍ، والمشتقات، وأبواب الفعل، والمصادر، وما يتصل بكل ذلك مما أُثر عن الإمام الزهري في اختياراته

وتلك الاختيارات لا تُمَثِّلُ ـ في الحقيقة ـ ظواهرَ لغوية يمكن أن ننسُبُها إلى بيئة لغوية لمنطقة جغرافية محددة، أو إلى قبيلة بعينها، وإنما كل ذلك يمثل مرآة لاختيارات القارئ، وللعلة التي رآها تَصِحُّ على هذا الوجه دون غيره

1 ـ بين الإفراد والجمع

من ذلك قوله تعالى (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ)(البقرة من الآية264) قرأ الزهري(صَفَوَانٍ) بفتح الفاء، وهي قراءة شاذة [90].

الصَفْوَان الحجر الأملس الذي عليه ترابٌ، واحدتُه صَفْوَانَة [91].

أما قراءة (صَفَوَان) بفتح الفاء، فهو على وزن (فَعَلان)، وهذا الوزنُ في العربية ، إنما يأتي في الأوصاف، نحو رجل شَقَذَانٌ، للخفيف

وكذلك يأتي في المصادر، نحو الغَلَيَان، والمعنى على كلا الأمرين هو الخفة، والحركة، والإسراع

أما (فَعَلان)، فهو جاء من الأسماء غير الأوصاف، والمصادر؛ لذلك فهو قليل شاذ [92].

وقيل هو جنسٌ لا جمعٌ، ولذلك عاد الضمير إليه بلفظ الإفراد في قوله (عليه تراب)[93].

2 ـ بين الفعل واسم الفاعل

من ذلك قوله جل ثناؤه (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)(الأنعام من الآية 14) قرأ الزهري(فَطَرَ) فعل ماض، وهي قراءة شاذة [94].

من قرأ (فاطر) اسم فاعل، فهو على جعله صفة للفظ الجلالة (الله) وهذه القراءة أبلغ من(فَطَرَ)؛ لأن الاسم يدل على الثبوت ، والرسوخ ، والتمكن ؛ فاستعملها القرآن الكريم حتى لا يشك سامع في قدرة الله ـ سبحانه ـ على ابتداع السماوات والأرض، وإيجادهما ، أما الفعل فليس فيه هذا المعنى البالغ ، والله أعلم.

3 ـ بين المجرد والمزيد

من المعروف أن صيغاً في أفعال العربية وردت مختلفةً في البناء ، ومتفقةً في المعنى،من ذلك (فَعَلَ)، و (أَفْعَلَ)، وسببُ ذلك يرجع إلى اختلاف لهجات القبائل العربية، فقبيلةٌ تستعملُ هذه الصيغة على هذا الوجه، وقبيلة أخرى تستعملُه على وجه آخر ، مع اتفاقهما في المعنى، يقول سيبويه

(وقد يجيء فَعَلْتُ ، وأَفْعَلْتُ المعنى فيهما واحد، إلا أن اللغتين اختلفتا، زعم ذلك الخليل، فيجيء به قومٌ على فَعَلْتُ ، ويُلحقُ قومٌ فيه الألف ، فيبنونه على أَفْعَلْتُ ، كما أنه قد يَجيءُ الشيءُ على أَفْعَلْتُ لا يُستعمل غيرُه) [95].

وصيغة (فَعَلَ) مأثورةٌ عن الحجازيين ، وصيغة (أَفْعَلَ) محكيةٌ عن بني تميم [96].

وقد وردت هذه الظاهرةُ في اختيارات الإمام الزهري ، وبما يتفق مع بيئته الحجازية

من ذلك قوله جل ثناؤه (فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ)(يونس من الآية 71)، قرأ الزهري ، ونافع ، وأبو عمرو ، ويعقوب(فَاجْمَعُوا بهمزة وصل ، وهي قراءة سبعية عشرية متواترة[97].

من قرأ (فأجمعوا) بقطع الهمزة ، فهو من أَجْمَعَ الأمرَ ، وأَزْمَعَهُ ، إذا نواه، أي أنه يكون مختصاً بالمعاني دون الذوات ، والأشياء المحسوسة ، ومنه قول الشاعر

يا ليتَ شعري والمنى لا تَنْفَعُ هل أَغْدُوَنْ يوماً وأَمْري مُجْمَعُ

وأما (جَمَعَ)، فهو مشترك في المعاني، والذوات؛ لذلك قال تعالى (فَجَمَعَ كَيْدَهُ)(طه من الآية60) وقال جل ثناؤه (الَّذِي جَمَعَ مَالاً (الهمزة من الآية2)، وقوله جل ثناؤه (ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ (هود :من الآية 103) [98] والله أعلم

أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

1. إن السبب في تصنيف قراءة الإمام الزهري مع القراءات الشاذة، إنما هو كثرة ورود المفردات الشاذة فيها، وشذوذ هذه المفردات ليس من باب مخالفتها لرسم المصحف ، وإنما من باب ضعف أكثرها في العربية، فضلاً عن كونها رواية آحاد، والقراءة لا تصح قرآنيتُها إلا بالتواتر كما هو معلوم
2. إن قراءة الإمام الزهري، إنما كانت صدى لبيئته اللغوية الحجازية، وهذا ما وجدناه جليًّا في ظاهرة الهمز ، والظواهر الأخرى التي درسناها
3. وجدنا أن بعض المفردات في قراءة الإمام الزهري لا تنتسب إلى بيئته الحجازية، وإنما هي من لغة القبائل النجدية، ووجدنا أن ذلك إنما هو من باب تداخل اللهجات لقبائل نجد.والحجاز

الهوامش

1. ينظر غاية النهاية في طبقات القراء 844/2 ، رقم الترجمة 3386 ، وسير أعلام النبلاء 133/7 وما بعدها
2. ينظر غاية النهاية في طبقات القراء 845/2
3. المصدر السابق
4. ينظر رسم المصحف 657
5. ينظر منجد المقرئين ومرشد الطالبين 7.5
6. ينظر السبعة في القراءات 45. 46
7. معجم القراءات القرآنية
8. إبراز المعاني من حرز الأماني 484
9. القاموس المحيط مادة (فَتَحَ)
10. لسان العرب (مَيَلَ) ، والقاموس المحيط (مال)
11. ينظر الجمل للزجاجي 394 ، وشرح ابن عقيل 674 ، والنشر في القراءات العشر 30/2
12. الإتقان في علوم القرآن 91/1
13. اللهجات العربية في التراث 284/1
14. الكتاب 125/4
15. السبعة في القراءات 406 ، والنشر في القراءات العشر 7.1/2
16. أسباب حدوث الحروف 16
17. ينظر اللهجات العربية في التراث 336/1
18. لسان العرب 22/1
19. ينظر في اللهجات العربية 7.9.78
20. ينظر الكتاب 543/3

21. السبعة في القراءات 412،411 ، والنشر في القراءات العشر 391/2
22. ينظر معاني القرآن للفراء 171/2
23. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها 194/1
24. المصدر السابق 339/1
25. نفسه 194/1 ـ 240،239/2
26. مختصر في شواذ القراءات 10
27. المحتسب في شواذ القراءات 130/1
28. البحر المحيط 314/6
29. ينظر المحتسب 130/1
30. المصدر السابق 216/1
31. الكشاف 58/2 ، والبحر المحيط 40/5
32. المحتسب 161/2
33. ينظر المصدر السابق 216/1
34. نفسه 162،161/2
35. البحر المحيط 346/1
36. ينظر الكتاب 554،553/3، والمحتسب 177/2 وما بعدها
37. المحتسب 39/1
38. ينظر التبيان في إعراب القرآن 52/1
39. المحتسب 243/1
40. مختصر في شواذ القراءات 42
41. الكتاب 556/3
42. ينظر المحتسب 243/1
43. البحر المحيط 466/2

44. المصدر السابق 167/3
45. نفسه 346/3
46. المحتسب 243/1
47. ينظر التبيان في إعراب القرآن 417/1
48. النشر في القراءات العشر 406/1
49. ينظر المحتسب 4/2
50. المصدر السابق 101/1
51. نفسه 276/1 ،والخصائص 359/2
52. ينظر المحتسب 276/1، والبحر المحيط 482/4
53. مختصر في شواذ القراءات 2
54. ينظر المحتسب 50/1 ، وينظر إعراب القرآن للنحاس 134/1
55. ينظر شرح المفصل 54/9
56. في اللهجات العربية 96،97
57. السبعة في القراءات 211
58. البحر المحيط 500/2
59. السبعة في القراءات 130
60. البحر المحيط 448/3
61. ينظر همع الهوامع 202/1
62. الكتاب 195/4
63. ينظر الخصائص 129/3 وما بعدها
64. ينظر البحر المحيط 22/3
65. مختصر في شواذ القراءات 81
66. الكشاف 690/2

67. في اللهجات العربية 100
68. اللهجات العربية في التراث 657/2
69. المصدر السابق 664/2
70. ينظر الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها 265/1 ، وينظر الكتاب 64/4
71. المحتسب 81/1
72. المصدر السابق 81/1،82
73. السبعة في القراءات 351 ، والنشر 296/2
74. ينظر إعراب القراءات السبع وعللها 317/1 ، وينظر معاني القرآن للفراء 56/2
75. ينظر الخصائص 75/1 ، وظاهرة التخفيف في النحو العربي 150
76. ينظر الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني 220 ، وينظر في اللهجات العربية 161
77. مختصر في شواذ القراءات 12
78. المصدر السابق 123
79. النشر 331/2
80. ينظر معاني القرآن للفراء 247/2 ، والمحتسب 104/2 ، واللسان (كبر)
81. مختصر في شواذ القراءات 158
82. ينظر معاني القرآن للفراء 164/3 ، والكشاف 122/4
83. مختصر في شواذ القراءات 121
84. ينظر معاني القرآن للفراء 260/2 ، والمحتسب 191/2

85. ينظر معاني القرآن للفراء 360/2 ، وإعراب القراءات السبع وعللها 219/2 ، والمحتسب 191/2
86. السبعة في القراءات 393 ، والنشر 311/2
87. ينظر إعراب القراءات السبع وعللها 398/1 ، والكشاف 487/2
88. ينظر إعراب القراءات السبع وعللها 397/1
89. مختصر في شواذ القراءات 18
90. المصدر السابق 16
91. الكشاف 340/1 ، ولسان العرب (صفا.)
92. ينظر المحتسب 138/1، والتبيان في إعراب القرآن 174/1
93. التبيان في إعراب القرآن 174/1
94. مختصر في شواذ القراءات 36
95. الكتاب 61/4
96. ينظر معاني القرآن للفراء 78/2 ، والمحتسب 363/1
97. السبعة في القراءات 328 ، والنشر 285/2
98. ينظر معاني القرآن للفراء 473/1 ، وإعراب القراءات السبع وعللها 271/1 ، ومغني اللبيب 349 ، والنشر 285/2

المصادر والمراجع

1. إبراز المعاني من حرز الأماني ، لأبي شامة (665هـ) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة 1349هـ
2. الإتقان في علوم القرآن ، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (911هـ) ، وبهامشه إعجاز القرآن للباقلاني ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، لبنان ، 1973م
3. أسباب حدوث الحروف ، تصنيف الرئيس أبي علي الحسين بن سينا ، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية ، لصاحبها حسين محمد أمبابي المنياوي (لا.ت)
4. إعراب القرآن ، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (338هـ) ت.د.زهير غازي زاهد ، مطبعة العاني ، بغداد 1977م
5. إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه (370هـ) ، حققه وقدم له د.عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ،ط1 1992م
6. البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (745هـ) ، طبع بالتصوير عن مطبعة مولاي السلطان عبد الحفيظ سلطان المغرب ط 2، 1978م ، دار الفكر للطباعة والنشر
7. التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري (616هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان 1997م
8. الجمل في النحو لأبي القاسم الزجاجي (340هـ) ، ت.د.علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة ، دار الأمل ، بيروت ط4، 1988م
9. الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني (393هـ) ت.محمد علي النجار ، الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان (لا.ت)

10. الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني د.حسام النعيمي ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام 1980م
11. رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية ، د.غانم قدوري الحمد ، ط 1 ، 1982م
12. السبعة في القراءات لابن مجاهد البغدادي (324هـ) ، ت. د شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر 1972م
13. سير أعلام النبلاء وبهامشه أحكام الرجال من ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، كلاهما للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (748هـ) ت.محيي الدين القروي ، دار الفكر للطباعة والنشر 1997م
14. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تأليف ت. د أحمد سليم الحمصي ، ود.محمد أحمد قاسم ، منشورات دار جروس للنشر والتوزيع ، طرابلس ، لبنان ط1 ، 1990م
15. شرح المفصل لابن يعيش النحوي (643هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان (لا.ت)
16. ظاهرة التخفيف في النحو العربي د أحمد عفيفي ، الناشر الدار المصرية اللبنانية ، ط1 ، 1996م
17. الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري د صاحب أبو جناح 1985م
18. غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (833هـ)، عني بنشره ج برجشتراسر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ط2 ، 1980
19. في اللهجات العربية د.إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو مصرية ، ط 4 ، 1973م
20. القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، دار الجيل ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده 1952م

21. الكتاب لسيبويه (175هـ)، ت.عبد السلام محمد هارون ، الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ط3، 1988م
22. الكشاف للزمخشري (538هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط1، 1983م
23. الكشاف للزمخشري (538هـ) ، طبعة جديدة حققها وخرج أحاديثها عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، ط 1، 1997م
24. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب القيسي (437هـ)، ت.د محيي الدين رمضان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1974م
25. لسان العرب لابن منظور الإفريقي ، دار صادر ، بيروت (لا.ت)
26. اللهجات العربية في التراث د أحمد علم الدين الجندي ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ـ تونس 1978م
27. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني ت. د عبد الحليم النجار ، ود عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، وعلي النجدي ناصف ، وزارة الأوقاف، القاهرة 1972م
28. مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع لابن خالويه(370هـ) ، عني بنشره برجشتراسر ، دار الهجرة (لا.ت)
29. معاني القرآن لأبي زكريا الفراء (207هـ) ، ت.د.أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار ، نسخة مصورة بالأوفست ، طهران (لا.ت)
30. معجم القراءات القرآنية د أحمد مختار عمر ، ود عبد العال سالم مكرم ، مطبوعات جامعة الكويت ، ط2، 1988م
31. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، جمال الدين بن هشام الأنصاري (761هـ) ، حققه وعلق عليه د مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله ،

راجعه سعيد الأفغاني ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ط1 ، 1998م

32. منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري (833هـ) ، مكتبة المقدسي ، القاهرة ، 1350هـ

33. النشر في القراءات العشر لابن الجزري (833هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، (لا.ت)

34. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين السيوطي (911هـ) ، ت عبد السلام محمد هارون ، وعبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية (لا.ت).